الأسباب الإجتماعية المؤثرة في انهيار الحضارات في القرآن الكريم

أ٠د٠محيي هلال السرحان أ٠د٠م٠كريم عجيل حسين د٠ عبد الملك محمود اللافي

أستاذ الشريعة أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك مدرسة عبد الله بن المبارك الإسلامية
كلية القانون/جامعة النهرين كلية الآداب جامعة الأنبار جامع الرمادي الكبير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعدُ : فلقد ذكرنا في دراسةٍ سابقةٍ (١)، أن الباحثين كُتبوا كثيرا عن الحضارة والأسباب المؤثرة في تدهورها وسقوطها . وأردنا أن تكون هذه الدراسةُ من خلال ، كتاب الله الخالد ،القرآن الكريم ،الذي جعله الله تعالى تبيانا وتفصيلا لكُلِّ شَيْء . سنخصص هذه الدراسة ، للأسباب الإجتماعية المؤثرة في إنهيار الحضارات في القرآن الكريم ،بعد أن قدمنا لها ،في الدراسة السابقة،مدخلا لمفاهيم الحضارة والمنهج الرباني والمجتمعات الإنسانية ،والسنن الإجتماعية في القرآن الكريم ، والعلاقة بين الإيمان والسنن ، والتي تناولنا منها بالدراسة ، سنة التغيير في الأنفس ، وسنة المداولة ، وسنة المدافعة.

لقد ذكر القرآن الكريم سننا (قوانين) كلية ،للمتغيرات التي تحدث في المجتمعات الإنسانية ،ومنها سنن التغيير في الأنفس والمدافعة والمداولة ، وإن مرد هذه المتغيرات إلى المجتمعات واختياراتها للمعتقدات والمفاهيم وما تنجزه من أعمال بإرادتها ، فتتحق بها السنن،لتنطبق عليها قوانين الله تعالى التي لا تخطئ،في التغيير و قيام الدول وسقوطها وفي تقدم المجتمعات وتخلفها وفي تقدم الحضارات وإنهيارها.

وفي تحقق التغيير، الذي يفضي الى الضعف والإنهيار في المجتمعات والحضارات، يذكر القرآن الكريم أسبابا اعتقادية(٢)، وهي :الكفر والشرك ونكران أنعم الله تعالى وآياته وتكذيب رسله وإنكار اليوم الآخر.ويذكر أسبابا اجتماعية،وهي: التكبر والظلم والصد عن الحق وإتباع الطغاة ، ونكث العهود والإجرام والفسوق والجنوح المادي والباطل والنفاق والجهل .

والأسباب الإجتماعية، موضوع هذه الدراسة ،كانت وراء الخراب والدمار الذي أصاب المجتمعات،وأدت الى انحطاط الأمم وتدهور الحضارات،بالرغم من كل ما حققته من تقدم علمي ومادي ،جراء إكتشافها،عبر مضامين السنن الإجتماعية ومعطياتها ، للسنن الكونية الطبيعية، وترجمتها الى مصادر للقوة والغلبة والقهر والتفوق الخاوي من قيم الحق والعدل والتوحيد، والمجافي لهدي الله وهدي رسله صلواة الله تعالى وسلامه عليهم.

ولاشك فإن الترابط والتكامل واضح بين الأسباب الإعتقادية والأسباب الأجتماعية،في مآل المجتمعات والحضارات.فالقرآن الكريم يربط بين الشرك والظلم،فالقمم الإجتماعية المشركة،التي

عَرضت الآياتُ الكريمة أحوالها،كانت تمارس التكبر والظلم بأنواعه داخل مجتمعاتها ،ولذلك كانت مصائرها الى البوار والهلاك، فتلك عاد وثمود وأهل مدين وأصحاب الأيكة وذلك فرعون مصر وقومه وغيرهم ممن ذكرهم القرآن الكريم، بين الأقوام التي انهارت حضاراتها، مع كل ما حققته من تقدم علمي ومادي مدهش بمقاييس عصرها.

أكد القرآن الكريم على مسؤولية الأسباب الأجتماعية،وهي الأحوال التي تكون المجتمعات عليها،وتكتسبها بإرادتها،في إنهيار الحضارات ،فتحقق بها ،سنن الله تعالى، وتبلغها لتنال إستحقاقها، وتبلغ مصيرها المحتوم ، وهو التدهور والسقوط. وتؤكد آيات الذكر الحكيم ، أن ذلك يتم في إطار الإرادة الإنسانية، التي ترفض منهج الله تعالى ،الذي ارتضاه للناس ، وتختار طريقا آخر ، يؤول بها إلى الشقاء في الدنيا وسوء المصير في الآخرة ،(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)(٣). " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى " فهو في أمان من الضلال والشقاء باتباع هدى الله . والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقا في المتاع . فهذا المتاع ذاته شقوة . شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة.وما يضل الإنسان عن هدى الله إلا ويتخبط في القلق والحيرة.والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع الممرع ! ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء . ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض ، وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود ، حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود .

"ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا " ، والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة ، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع . إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه . ضنك الحيرة والقلق والشك . ضنك الحرص والحذر : الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت . ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت . وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله . وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها . إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولا وعرضا وعمقا وسعة ، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان . " ومن أعرض عن ذكري " وانقطع عن الاتصال بي" فإن له معيشة ضنكا " " ونحشره يوم القيامة أعمى " وذلك ضلال من نوع ضلاله في الدنيا . وذلك جزاء على إعراضه عن الذكر في الأولى(٤).

إن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وكما ذكرنا في البحث السابق عن السنن الإجتماعية ، هما المصدر الأول في إعداد هذا البحث ، كما عدنا ، إلى عدد من المصادر المتنوعة في موضوعاتها ، والى والدراسات الحديثة ، وتأتي كتب المفكرين الإسلاميين في مقدمتها ، والتي كانت عودتنا للعديد منها أيضا في البحث السابق. ستكشف هوامش هذه الدراسة عن حجم ونوع الإفادة منها .

والله تعالى نسأل أن يوفقنا والعاملين المخلصين لتدبر آيات كتابه الكريم، وأن ينفع جميع الإنسانية بكتابه العزيز ونوره المبين، الذي يهدي إلى صراط مستقيم، وأن يجنب حضاراتها سوء المصير ،وأن يجعل تقدمها في خدمة الأنسان، بغض النظر عن إقليمه ولونه ولغته ومعتقده. وأن تهتدي الى ما وهبه سبحانه في كتابه الكريم من عظيم الخير لها ،فتحقق به سعادتها في الدارين.ونسأله تعالى أن يتجاوز عنا سوء فهمنا لمراد آيات الذكر الحكيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين .والصلاة واتم التسليم على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على هديه الى يوم الدين.

الأسباب الإجتماعية المؤثرة في انهيار الحضارات في القرآن الكريم

تُحملُ آيات الذكر الحكيم ، القمم الأجتماعية الفاسدة ، مسؤولية التغييرات السلبية الجوهريةفي مجتمعاتها،وفي وصول أقوامها الى الإنهيار؛ فهي تمارس في مجتمعاتها أنواعا شتى من السلوك المنحرف عن الحق والعدل والخير ،مثل التكبر والظلم والترف ومنع الناس من الإستجابة للحق ،الذي فطرت عليه ، وتحول بينها وبين رغبتها،في مغادرة الواقع المريض الذي صنعته . محتمية به للحفاظ على ما بين أيديها من متاع ،تسعى،وبأساليب غير مشروعة،الى زيادته بإستمرار ،ومتسودة على رقاب الناس ،بلا هدي ولا كتاب منير.ولذلك يكون تراكم ممارساتهاوممارسات مجتمعاتها المغلوبة على أمرها،تغييرا يقود الى التدهور والإنهيار لها ولمجتمعاتها ، على حد سواء، وفق سنة التغيير.ومجمل ناتج سياسات هذه القمم الفاسدة،الداخلية والخارجية،تفضي الى الخراب والدمار الجماعي لها ولأقوامها،الذي يطول، وفي أحيانا عدة،غيرها من الأقوام التي تتصارع معها،وفق سنة المدافعة.سنذكر هذه الأسباب والأحوال على شكل نقاط تسهيلا لعرضها :

أولاً.التكبر والاستكبار:لغة،التعظم(٥)وإظهار كبر النفس على غيرها (٦)، وحقيقته أن يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال ، فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه الرذيلة (٧).وقوله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)(٨)،أي أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي، ومعنى يتكبرون أي أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم. وهذه الصفة لا تكون إلا خاصة لله، لأن الله سبحانه وتعالى، هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله، وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر، وليس لأحد أن يتكبر لأن الناس في الحقوق سواء، فليس لأحد ما ليس لغيره(٩).

الكبير هي صفة الله تعالى، والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده، و الكبرياء عظمة جاءت على فعلياء،وفي أسماء الله تعالى المتكبر و الكبير أي العظيم ذو الكبرياء وقيل المتعالي عن صفات الخلق وقيل المتكبر على عتاة خلقه والتاء فيه للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي والتكلف.و الكبرياء العظمة والملك وهي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى وهما من الكبر بالكسر وهو العظمة(١٠).

وصفة المتكبر مذمومة في حق جميع العباد ، ولكنها صفة مدح في الله جل جلاله ، لأنه يستحق إظهار ذلك على من سواه . وقد يكون إظهار الكبر على الغير بالحق ، جائزاً إذ أن للمحق أن يتكبر على المبطل (١١) .

وعد أحد المفسرين كبرياء الله جل وعلا صفة ذاتية لا تسلب منه ، أما غيره من البشر فلا يملك هذه الصفة الذاتية التي يستحق من خلالها التكبر ، لأن صفاته كلها موهوبة من الله ، وفضلاً عن ذلك فإن الإنسان يعجز عن المحافظة على ما لديه من القوة والعزة والثراء ، وهي أبرز مقومات الكبرياء البشرية وهي ليست ذاتية (١٢) .

وإذا سلك الإنسان طريق الكبر والاستعلاء ، عرض نفسه للتناقض بين الصورة والحقيقة ، إذ تنطق أنفاسه بالذل والاضطراب ، بينما تشير أفعاله وأنماط سلوكه إلى الذل والاستكبار ، بسبب الخطأ في التصور ، والغباء في الفهم الذي زين له الاستغناء عن الله جل وعلا ومنهجه مما جعله يرى أنه أفضل الخلق وأن له من الحق ما ليس لغيره (١٣) .فكان مذموماً عند الناس ، فضلاً لتعرضه لمقت الله جل وعلا ولعذابه قال تعالى : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) (١٤) ، وقوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً)(١٥) ، وقد كان من سنة الله تعالى نبذ المتكبرين ، بغير الحق ودحرهم ، قال تعالى : (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (١٦) .

لقد نهى القرآن الكريم عن التكبر وأمر بالتواضع ، قال تعالى : (وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) (١٧) وقال تعالى : (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (١٨) ، إذ كان من مظاهر التكبر في المشي وتجاوز الإنسان قدره ، وإظهار الخيلاء والبطر والأشر والنفخة وقلة المبالاة بالناس ، ومتى تجاوز الإنسان قدره كانت أفعاله في هذا الميدان مذمومة ، لما يحيط به من حوله بقدرة الله تعالى وعظمته التي يكون الإنسان حيالها عبداً ذليلاً وضعيفاً (١٩) .

نهى النبي ﷺ عن الكبر والتكبر ، فقال عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر . قال رجل . إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس) (٢٠) ، وقال ﷺ : قال تعالى : ((العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته)) (٢١) .

كان المستكبرون والمتكبرون ، ولا زالوا ينظرون إلى الآخرين ممن هم دونهم في الجاه والمال والسلطان ، نظرة إزدراء واستهزاء فنسوا أو تناسوا أن هؤلاء الفقراء ، هم جل أتباع الرسل والأنبياء ، لأنهم بفطرتهم أقرب إلى الاستجابة للدعوة ، التي تحرر الناس من العبودية للكبراء وتصل القلوب بإله واحد قهار ، ولأن فطرتهم لم يفسدها الترف والبطر ، ولم تعوقها المصالح والمظاهر عن الاستجابة لها (٢٢) .

ذكر القرآن الكريم نماذج متعددة ، من هؤلاء المستكبرين على مر العصور والقرون ، محذراً المستكبرين من ملأ قريش وما حولها من القرى الذين استكبروا على النبي ﷺ وعابوا عليه إيواءه الضعفاء والفقراء ، رغم ما هم عليه من اليقين بصدقه ، وأمانته .

لقد أنكر الملأ من قوم نوح ، أن يكون الرسول بشراً ، وعدوا إيمان الفقراء والضعفاء دليلاً على تفضلهم عليهم ، فقالوا : (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ) (٢٣) ثم تمادوا في تكبرهم ، فدعوه عن الابتعاد عنهم كشرط لإيمانهم ، وإن كانوا مصرين على استكبارهم ، متمسكين بآلهتهم وما وجدوا عليه آباءهم من الشرك، كان عقابهم الاستئصال بالطوفان ، ليكونوا بعد ذلك عبرة لمن جاء بعدهم .

وكما استكبر قوم نوح ، فقد استكبر قوم هود ، على غير حق (٢٤) ، قال تعالى : (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) (٢٥) ، وتعاملوا مع الناس ببطش وأسرفوا في إظهار تجبرهم وطغيانهم وفسادهم حتى تعدى إلى الناس من حولهم ، ففسدت العلاقات والارتباطات في جوانب الحياة جميعها ، وتحولت الحياة عن خطها السليم المستقيم النظيف المعمر الباني إلى خط آخر لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال . وأصبح الطغاة المتجبرون المستكبرون أسارى أهوائهم ، لا يفيئون إلى ميزان ثابت ولا يقفون عند حد ظاهر ، فكان الفساد فيهم أولاً وذلك أول معالم الانحراف عن منهج الله تعالى .

ومثل قوم نوح وعاد ، كانت ثمود في الاستكبار والتجبر على النبي صالح عليه السلام ، فقد أوهمهم ما كانوا عليه من كثرة المال والجاه والقوة البدنية ، إنهم أفضل من أولئك الفقراء الذين آمنوا بدعوة صالح عليه السلام ، وسلكوا سبيل الإيمان والانقياد والتصديق فكانوا في ميزان الله جل وعلا أفضل حالاً ، وأحسن عاقبة من أولئك الذين بطروا وحملهم ذلك الاستكبار على التمرد والإباء والإنكار (٢٦) ، ثم كان استكبارهم وطغيانهم سبباً لما حاق بهم من العذاب والاستئصال (٢٧) ، قال تعالى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا *إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) (٢٨) .

ويبدو استكبار قوم لوط جلياً في إنكار نبوته ، وعزوفهم عن الاستماع لنصائحه ، ثم تمادوا في انحرافهم ، بسبب ما كانوا عليه من الكثرة والقوة والغلبة ،التي جعلت لوطاً عليه السلام يبحث عن العون والمساعدة ، في أحرج ساعات غوايتهم ،لدفع طغيانهم: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) (٢٩). لقد نجى الله جل وعلا لوطاً ومن آمن معه ، ثم كان عقابه للمسرفين في الإفساد والفساد ، ولن أظهر الفسق والاستكبار أليماً وأخذه شديداً .

ولقد عبر الملأ من قوم شعيب ،عن استكبارهم وتجبرهم ، بوضعهم شعيباً والذين آمنوا معه بين أمرين لا ثالث لهما ، أما الخروج من القرية (٣٠)، أو العودة إلى ملتهم الكافرة ، التي سلكت سبيل الفساد ،هددوهم بالقوة والإكراه قال تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) (٣١) .

كان قوم شعيب ، و عشيرته خاصة ، في منزله محترمة في مدين ، ومع ما كان عليه شعيب من الضعف والعمى،فقد كانت له مكانة لائقة به ، لما عرف من استقامته ، ومنزلته في رهطه ، ولذلك جاء تهديدهم له محفوفا بالأعذار إلى قومه(٣٢)،ولعل في هذه موعظة لقريش التي كانت تتعامل بذات الأسلوب مع النبي ﷺ ، في احترام وتقدير علاقة أبى طالب عم النبي ﷺ الودية والدفاعية عن الرسول ﷺ ، رغم بقائه على الشرك، وهي تحمل تهديداً للمشركين بالاستئصال والعذاب الذي حل بأهل مدين وأصحاب الأيكة ، إذ لم ينفعهم بعد ذلك استكبارهم وعنادهم مما حاق بهم في بدر ، وما بعده من المواقع ، وليكون بعد ذلك منهجاً واضحا وسننا ثابتة على مر الدهور والقرون ، فما استشرى فساد وعم استكبار إلا وكان المحق والهلاك ، الذي لا بد أن يستأصل القمم والطغاة والأتباع والمتخاذلين ، ولن ينجو الإمعات والأذلاء .ان النفس التي تستذل تأسن وتتعفن وتصبح مرتعا لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة ،وميدانا للانحرافات ، مع انطماس البصيرة والإدراك وفقدان الأريحية والهمة والتطلع والارتفاع ، وهو فساد أي فساد (٣٣) .

ذكر القرآن الكريم طغيان فرعون واستكباره بغير حق ، وتعاليه على الناس بإصرار وعناد وتمسك شديد بهذا بالاستكبار ، متحدياً دعوة موسى عليه السلام فقال : (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (٣٤) ظناً منه أن موسى ينازعه الكبرياء والسيادة والملك ، وهي جل ما كان يطلبه فرعون وجنوده من أمور الدنيا فاستكبروا عليه ، وأسرفوا في معاداته فمنعوا الناس الإيمان بدعوته ، إلا قلة من الضعفاء ، والفقراء مع ما كانوا عليه من الخوف الشديد من فرعون وملئه (٣٥) .قال تعالى :(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) (٣٦)، لما اتصف به من الاستكبار والأنفة من متابعة موسى والتخلي عن التقاليد التي ورثها في أمور الدنيا ، وقد كان موقناً كما أخبر القرآن الكريم بصحة نبوة موسى (٣٧)، قال تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) (٣٨).

وهكذا استحق الطغاة والمستكبرون ما حاق بهم من التدمير والإهلاك والمحق ولتؤكد الأمثلة القرآنية وقصصها سنة الله جل وعلا باستمرار سنة التغيير ، واقتران الأسباب بالمسببات ، ولتطمئن بعد ذلك نفوس المؤمنين ، بأن الله جل وعلا دائماً معهم ، وهم في رعايته(٣٩).

ثانيا.الظلم : أصله وضع الشيء في غير موضعه (٤٠)، كوضع الإنكار موضع الإقرار،والكفر موضع الإيمان. واصل الظلم الجور ومجاوزة الحد وفي التنزيل الحكيم :(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)(٤١). وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ،لم يخلطوا إيمانهم بشرك،تأولوا فيه قول الله عز وجل: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(٤٢).والظلم الميل عن القصد ،وقوله تعالى: لَظُلْمٌ عَظِيمٌ،يعني أن الله تعالى هو المحيي المميت الرزاف المنعم وجده لاشريك له،فإذا اشرك به غيره فذلك أعظم الظلم،لانه جعل النعمة لغير ربها.وقوله تعالى: (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٤٣)،ما نقصونا شيئاً فعلوا ولكن نقصوا أنفسهم(٤٤).

وردت كلمة ظلم ، في صيغ متعددة أكثر من ثلاثمائة مرة، في تسع وخمسين سورة من سور القرآن الكريم .في عشرة مواضع في تسع سور، أضيف الظلم الى الناس، ونفي عن الله عز وجل: (في التوبة فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي يونس ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وفي هود وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم وفي النحل وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون وفيها وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي العنكبوت وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي آل عمران وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون وفي النور بل أولئك هم الظالمون وفي الروم وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي الزخرف وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين)(٤٥).قال الرازي(ت٦٠٦هـ): استحقوا هذا الإسم من وجهين : ظلم أنفسهم بكفرهم ووضعهم أنفسهم في عبادة الأصنام والأوثان مع خستها ، وظلمهم الناس من حولهم بمنعهم من الإيمان وصرفه عنهم بالبطش والاستكبار والقوة (٤٦) . وأشد الناس ظلماً من افترى على الله الكذب ، فظلم نفسه بعد قيام الحجة عليه (٤٧) ، وظلم أمته ورضي لها حياة زائلة ، ثم ترك الحياة الأبدية .أما ظلمه الناس فإنه يأخذ أوزار ما يفعلون متابعة له ، وبذلك يعود إجرامه وظلمه على نفسه في تكذيبه الرسل ورفضه الإيمان (٤٨) .

إن من يسمح بالظلم في أي صورة من صوره ، ولا يقف في وجه الظالمين ، ولا يأخذ الطريق على المفسدين ، يستحق أن يناله ما نال الظالمين ويؤخذ بجريرتهم ، أما أولئك الذين يرجون النجاة من الفتنة لما فيهم من الصلاح والطيبة ، وهم قاعدون أذلاء مستكينون ، فقد نعى الله جل وعلا عليهم ما فيهم من الإستخذاء والتخاذل والإخلاد إلى الأرض ، وتوعدهم بالمصير ذاته ، فقال تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٤٩).

إن الظلم الذي تمارسه الفئات الحاكمة والقمم المتنفذة في المجتمع وبأشكاله المتعددة ، ومنه الظلم الإعتقادي والاقتصادي والاجتماعي ،سيحول المجتمع،مع تراكم المظالم التي تلحق سواد الناس،الى مجتمع مهيئ للتغيير،بسبب الواقع ،الذي جر إليه الظلم وأفرزه ،ويجعله هشا أمام أية قوة خارجية ، لينهار أمامها بسهولة . انه الواقع الذي صنعته قمة الهرم وسخرت له قدراتها وأعوانها وحملت عليه مجتمعها فأطاعها خوفا وطمعا، إلا بقية أولي صلاح، لم تستطع أن تُقف سير التغيير نحو الهاوية والإنهيار الذي قادت إليه.وعندئذ ، وبعد أن غيرت الأقوام والمجتمعات بحالها سلبا، بقيادة ظلمتها، يأتي تغيير الله بالأقوام،متوجا لتغييرها الذي اختارته لتتحقق سنة من سننه سبحانه في المجتمعات،ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وفي الآيات الكريمة التي ذكرت فرعون وقومه أمثلة واضحة،على النتائج المترتبة على أنواع الظلم الذي تمارسه الفئة الحاكمة والقمة الإجتماعية والنتائج الذي ترتب عليه، ومنها قوله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (٥٠)(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)(٥١)(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ

وَمَلَإِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)(٥٢) (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)(٥٣).

لقد توعد الله تعالى الظالمين،في القرآن الكريم، بالعذاب الأليم ، وأكد أن الله جل وعلا سينتقم للمظلوم من الظالم ، وأباح للمظلوم الانتصاف من الظالم والانتصار ممن ظلمه، وعد القرآن الكريم الافتراء على الله والتكذيب بآياته ورسله من أشد الظلم وأعظمه ، وأن عذاب الظالمين سيشمل أولئك الذين يدعون الظالمين ولا يأخذون على أيديهم ، بل سيشملُ حتى الذين يُبدون الصلاح والطيبة ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً لمنع الظلم وصد الظالمين .

وردت أحاديث النبي محمد ﷺ التي تنهى عن الظلم منها قوله ﷺ فيما رواه عن الله تبارك وتعالى أنه قال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...))(٥٤) وقوله ﷺ : ((اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة...)) (٥٥) وقوله ﷺ : ((أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال تأخذ فوق يده)) (٥٦) .

ومن معاني الظلم ، التكذيب،ومنه قوله تعالى : (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) (٥٧) . أي كذبوا بها (٥٨) ، ومنه قوله تعالى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) (٥٩) .

ومن معاني الظلم الواردة في القرآن الكريم ، الكفر قال تعالى : (مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) (٦٠) ، فالمراد بكلمة الظالمين الكافرين برسالة الحق جل وعلا التي تعاقبت في موكب الرسالات التي كانت خاتمتها محمد ﷺ (٦١).

ثالثا. الصد عن الحق : صد : أعرض ، وصده عن الأمر : منعه وصرفه عنه (٦٢) . وعد القرآن الكريم الصد عن سبيل الله كفراً (٦٣) ، وقال ابن كثير : صد عنه : أي كفر به وأعرض عنه وسعى في صد الناس عنه (٦٤) قال تعالى : (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) (٦٥) .

أن الذين كفروا في أنفسهم ولم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والإقتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعدا عظيماً شاسعاً ، بارتكابهم المآثم وانتهاك المحارم ، فاستحقوا بذلك الظلم لأنفسهم وقطع المغفرة عنهم وإدخالهم الى طريق جهنم بئس المصير .

وكما عنف القرآن الكريم أهل مكة في صدهم الناس عن الإسلام ، وإخراج المسلمين من مكة ، بعد أحداث سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه سنة ١ هـ ، بقوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ...) (٦٦) .وقد عنف أهل الكتاب على عنادهم للحق والكفر بآيات الله جل وعلا ، وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان ، قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (٦٧). وطمأن النبي ﷺ

أن إبراهيم عليه السلام ، قد تعرض لما تعرض له ، عندما اختلف عليه قومه فصد عنه الكفرة وكذبوه ، وتوعد هؤلاء الكفرة بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم لرسل الله جل وعلا وكتبه ومنهجه ، فلا يهمك منهج المنافقين المخالف لأوامر الله تعالى والذي يريد التحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، هؤلاء الناس من المنافقين والكافرين سيجزيهم الله جل وعلا بما يستحقون ، قال تعالى : (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (٦٨) .

رابعا:نكث العهود: نكث ، من باب نصر ، بمعنى نقض (٦٩) ، ومنه نكث العهد ، أي نقضه وأصله من النكث ، وهو نقض أخلاق الأخبية البالية والأكسية القديمة لتغزل ثانية.والنكث (بالفتح) نقض ما تعقده وتصلحه من بيعة وغيرها (٧٠) .

وردت هذه الكلمة بصيغة ، نكث ، وينكث ، نكثوا ، وينكثون ، وأنكاثاً ست مرات في خمس سور من القرآن الكريم (٧١) . وتفيد الآيات القرآنية التي ذكرت هذه الألفاظ ، إن الذين نقضوا عهدهم مع المؤمنين ، وأعلنوا عداوتهم لهم وطغوا في دين الله ومنهجه الذي ارتضاه للناس ، إنما فعلوا ذلك تكبراً وتجبراً يريدون به الفساد في الأرض ، وتحكيم أهوائهم ، وهم بذلك استحقوا كل ما تفعلوه بهم أيها المؤمنون السائرون على منهج الله تعالى من الإخراج ، والقتل ، والمحاربة .

ونكث اليهود ، في المدينة المنورة ،عهودهم التي عقدوها مع النبي ﷺ ، فيما نعرفه من دستور المدينة وتحالفوا مع قريش ، وغطفان وغيرها من الأحزاب ، للعمل ضد الإسلام والمسلمين ، وكان من نتائج مساعيهم في ميدان المعاداة ، ما ألبوه من الأحزاب وما جمعوه من أحلاف ضد المسلمين في غزوة الخندق سنة ٥ هـ (٧٢)،وأعانوا المشركين على المسلمين(٧٣) .فأفضى نكثهم بالخراب عليهم.

أكد القرآن الكريم ، إن نتائج معاداة منهج الله تعالى ستكون آثارها سلبية على الناكثين قال تعالى : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) ، لأنهم عندما وضعوا أيديهم في يد رسول الله ﷺ ، نسوا أنهم إنما وضعوا أيديهم في يده تعالى ، وهو جل شأنه كما وصف نفسه (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (٧٤) فهو صاحبها ، وهو متوليها ، بعد رسول الله ﷺ ، وما من صفقة بين العبد وربه إلا والعبد فيه رابح ، فضلاً من الله ورحمة فإن نكث العبد تلك الصفقة ، كان خسراناً مؤكداً ، له (٧٥) . إن نكث العهود يفضي الى الخراب والدمار على الناكثين، وكما حل بيهود يثرب.

خامسا.الإجرام :من الجرم والجريمة ، وهو الذنب (٧٦) .والمجرم الكافر ، والذي يقترف المعاصي (٧٧) ، ومنها التكذيب بالرسل والجحود بالرسالات والأنبياء .

وصف القرآن الكريم الطغاة والظلمة والمستكبرين ، بالقوة والغلظة والجبروت (٧٨) ، ثم التحدي والتكذيب (٧٩) ، فكانت عقوبتهم تدميرية ، موافقة لمواقفهم فلن تبقى إلا مساكنهم ،

وبعض مظاهر مدينتهم ، ثم كانت الصيحة وما يصاحبها من التموج الشديد والهيبة العظيمة ، والبرق الشديد المحرق ، الذي يحمل معنى الصاعقة (٨٠) فأبادهم الله جل وعلا وقطع دابرهم ، فلم يعد بمقدورهم تحدي منهج الله جل وعلا ودعوة أنبيائه ورسله ، وإن عاد من جاء بعدهم إلى الإنحراف وارتكاب الجرائم ، فلن يتركوا دون عقاب (٨١) .

وردت كلمة مجرمون ، ومجرمين ، خمسين مرة في القرآن الكريم ووردت بصيغة المفرد ، المجرم ومجرما مرتين ، كما وردت بصيغة أجرموا وأجرمنا وتجرمون ، وجميعها تحمل معنى الذنب ، وصف القرآن الكريم المكذبين والمستكبرين بأنهم مجرمون ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) (٨٢)

ونظراً لما كان يتمتع به عظماء الكفار ورؤسائهم،في تلك القرى التي خرجت تحت سمعهم وبصرهم عن منهج الله تعالى ، ومعاداتهم للأنبياء وأصحاب الدعوات، ورفضهم إلى العودة إلى منهج الله تعالى ،فسلط عليهم من العذاب ما يوافق تكبرهم وتجبرهم وإجرامهم ، بما أصابهم من الصغار والذل والهوان قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) (٨٣) .

إنها سنة جارية أن ينتدب في كل قرية،وهي المدينة الكبيرة،نفر من أكابر المجرمين فيها، يقفون موقف العداء من دين الله.ذلك أن دين الله يبدأ من نقطة تجريد هؤلاء الأكابر من السلطان الذي يستطيلون به على الناس،ومن الربوبية التي التي يتعبدون بها الناس، ومن الحاكمية التي يستذلون بها الرقاب. ويرد هذا كله الى الله وحده..رب الناس ..ملك الناس..إله الناس..(٨٤).

ورفض القرآن الكريم اعتذار المنافقين ، بعد إن كان منهم الكفر بعد الإيمان فقال تعالى : (لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) (٨٥) ، (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (٨٦) .

ثم قص القرآن الكريم أخبار القرون التي كان مصيرها الهلاك بظلمهم وإجرامهم ، قال تعالى : (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) (٨٧) .

لقد تجاوز قوم لوط للفطرة والحق والدين ، ونبذوا الحياء في أمورهم (٨٨) فسلط الله جل وعلا عليهم (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٨٩) بعد أن وصفهم بقوله تعالى : (قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ*) (٩٠) . (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ) (٩١) ، ولقد أصاب أبا رغال وقومه (٩٢) عندما تعرضوا لحرمات الله جل وعلا ذات العقاب فيما نعلمه من قصة أصحاب الفيل الذين لا يزال أيام نزول القرآن في مكة من عاصر تلك الأحداث ، لينذره

بالمصير المظلم ، والنهاية الفاجعة التي أعدها الله جل وعلا للمستكبرين والظالمين والكافرين ، وأعد للمجرمين منهم وعتاتهم وطغاتهم ، العقاب الأشد وأشد فضاعة .

وما دام في الأمر متسع ، وفي الوقت سعة ، فليس على المكذبين بالقرآن والنبي ﷺ ، والمعاندين له ، وخاصة أولئك الذين يتصدرون أقوامهم ، إلا الرجوع إلى طريق الحق ، وإتباع منهج الله تعالى الذي ضمن لهم الحياة الهادئة الحرة الكريمة ، في الدنيا والآخرة .

ولقد أكد القرآن الكريم ، إنكار الأقوام ، التي تعرضت للعقاب الرباني ، لتوحيد الإله ، وأنكرت نبوة الأنبياء والرسل ، وبالتالي أنكرت كل ما جاءوا به من الأوامر الربانية ، ومنها الإيمان باليوم الآخر والحساب ، والعقاب والثواب وكل ما له علاقة بالحياة الأخرى.

إن فساد القمة في أي مجتمع نذير صارخ بإفساد المجتمع (٩٣) ،المؤدي إلى الإنحدار والسقوط ، حيث يتسنم المسؤولية حفنة من الظلمة والفسقة ، فيمارسون من مواقع السلطة تلك ، كل أسلوب من شانه ان يؤول إلى إلحاق التفكك والدمار بالأمة ، التي ارتضتهم قادة لها ، من خلال ما يمارسونه من قسوة وبطش بالخصوم لإشاعة مظاهر الترف والفسوق والإستغلال ، قال تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) (٩٤). وقال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)(٩٥).

صور القرآن الكريم هؤلاء الطواغيت ، وهم في قمة الجاه والثروة والسلطان ، أدوات بيد الله سبحانه وتعالى يسخرهم من حيث لا يدرون لإنزال عقابه العادل بطرفي الجريمة: السلطة التي تظلم ، والقاعدة التي ترضى بالظلم (٩٦) ، وصور لنا اعتراف الهالكين يوم يحبسهم الله للحساب والجزاء ، بأن سبب شقائهم لم يكن إلا سكرة المتكبرين منهم بعتوهم وطغيانهم وإنصياع المستضعفين لأوامرهم وأحكامهم (٩٧) ، قال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٨).

سادساً.الفسوق:جاء في مختار الصحاح : فسقت الرطبة خرجت من قشرتها (٩٩) ، ولذلك قال الزمخشري : الفسوق ، الخروج من الشيء والانسلاخ عنه (١٠٠) ، وقال الرازي الفسوق : الكذب والخروج عن الطاعة الحاصل من حال المتكلم (١٠١) ، وعده آخرون : هو من التنابز بالألقاب وإثارة مظاهر السخرية والانتقاص من حقوق الآخرين (١٠٢) ، ومنه قوله تعالى : (الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (١٠٣) . وعد القرطبي الفسوق نوعاً من

التعبير عن مظاهر الفساد التي يمارسها الكفار دون حياء ، جهاراً أمام أعين الناس ، وفي منتدياتهم (١٠٤) وكل خروج عن أمر الله تعالى وحكمه ، ومن مظاهره خفة الإتباع والأذناب في الآيتين بما كان يأمرهم به الطغاة المتجبرون والمستكبرون وتقليدهم في فسقهم ومعصيتهم (١٠٥) ، وما يمارسون من أنواع المنكرات ، الفعلية والقولية ومعاونتهم في إشاعتها بين الناس دون حياء أو مراعاة لحقوق وآراء الناس الذين يرفضونها أو ينكرونها ، بل وربما دعوا إليها وأجبروا الناس على قبولها بالبطش والتنكيل والتبرير .

وردت كلمة فاسق ، وما اشتق منها خمساً وخمسين مرة في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين سورة منه وقد نفى القرآن الكريم صفة الإيمان عن الفاسقين ، فقال تعالى : (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (١٠٦) وأكد كفرهم بآيات الله تعالى ، وتكذيبهم باليوم الآخر وأنكروا وجود الجنة والنار والثواب والعقاب . فاستحقوا بذلك عذاب الله جل وعلا وما أنزله بهم في الدنيا من الهلاك ، وما ينتظرهم في الآخرة من عذاب النار والهوان . قال تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) (١٠٧) .

صور القرآن الكريم في آياته التي ذكرت الفاسقين أن هذه اللفظة تشمل بعض المؤمنين ممن لم يفهموا معنى الإيمان ، ولم تستقر في نفوسهم ، فكان مظهر القلق وعدم الاستقرار تظهر على تصرفاتهم ، ولذلك كان من معاني الفسق التي تليق بهم ، ما جاء بمعنى الجهل ، فقالوا : إن قوله تعالى : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) (١٠٨) أي إذا جاءكم خبر من مجهول العدالة ، الصغير ، وضعف إيمانه ، فيجب أن تتبينوا وتتثبتوا من الخبر ، قبل اتخاذ القرار بشأنه ، ويشمل لفظ الفاسقين ، المنافقين الذين كانت مواقفهم معروفة للمسلمين في تذبذبهم بين ظاهر حالهم التي أعلنوا من خلالها إسلامهم ، وحقيقة أمرهم في عدم دخول الإيمان في قلوبهم ، فظلوا يبطنون الكفر ، ويتربصون بالمسلمين .

أما موقف الكافرين والمستكبرين ، فهم فاسقون جميعاً لموقفهم الثابت في العداء لكل مظاهر الإيمان كما قدمنا سواء منهم من كان من أهل الكتاب أو المشركين ، وقد عد القرآن الفاسق ، نقيض المؤمن فقال تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) (١٠٩) ولقد ذكر القرآن الكريم أن الترف وترف السلطان والقمة خاصة من دواعي الفسق والطرق الموصلة إليه ، فإذا ما أخرجوا عن أوامر الله ، وانتهكوا حرماته ، عرضوا أنفسهم وشعوبهم لسنن الله تعالى التي سينالون لمخالفتها الذل والهوان . قال تعالى : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) (١١٠) .

ومن مظاهر الفسق ، الاستهزاء بالرسل وتبديل الألفاظ ، وإضمار المعاني القبيحة ، كما فعل اليهود إذ رفضوا أن يقولوا (حطة) فقالوا (حنطة) فاستحقوا ما أنزل عليهم من الرجس ، قال تعالى

:) وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (١١١) .

وعد القرآن الكريم اليهود الذين كانوا يحتالون في عدم التزامهم بسبتهم فاسقين ، لخروجهم عن ترك العمل يوم السبت (١١٢) . والقرآن خاطبهم بالإيمان ولم يكن في قلوبهم خشوع إذ طال عليهم الأمد فابتعدوا عن منهج الله تعالى وأوامره . لذلك قال عنهم : (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (١١٣) ويشمل بعد ذلك كل الذين خالفوا الأنبياء فابتدعوا البدع السيئة كالرهبانية ، ومناهج الانهزام من المجتمع واللجوء إلى الكهوف والجبال والصوامع ، وغيرها من مظاهر الخروج عن أمر الله تعالى وطاعته مما عد فسقاً ، كالظلم (١١٤) ، وعمل قوم لوط (١١٥) ، وتناول الأطعمة المحرمة ، كالدم والميتة ، وغيرها مما ذكر جل وعلا في قوله : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ) (١١٦) ، (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) (١١٧) .

دعا القرآن الكريم ، إلى الابتعاد عن المنافقين ، وحرم الصلاة على من مات منهم ، قال تعالى : (وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) وكانوا يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويمتنعون عن مد يد العون للمسلمين ، (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١١٨).

سابعا.الجنوح المادي(الترف):الترف :لغة ، ترف،ومنه أترفته النعمة إذا أطغته (١١٩) .

والترف من أقوى وأسرع عوامل التفتت الاجتماعي وانحلال روابط المجتمع ، فهو ممارسة مدمرة سواء للجماعة كلها التي تسكن عليها وتغض عنها الطرف ، أو تغلو في انهزاميتها فتتملق وتتقرب وتداهن ، أو للمترفين أنفسهم الذين يعمي الثراء الفاحش بصائرهم ويطمس على أرواحهم ، وليسحق كل إحساس أخلاقي أصيل في نفوسهم ، ويحجب عنهم كل رؤية حقيقية لدور الإنسان في الدنيا وموقفه في الكون وطبيعة العلاقات المتبادلة بين عالمي الحضور والغياب والمادة والروح (١٢٠) .

لقد بين القرآن الكريم إن الترف يؤول إلى إنكار النبوات ، والقيم الغيبية والكفر بها ، ومن ثم يؤدي إلى التكذيب بلقاء الآخرة ، وعدم المقدرة على استخدام مقاييس دقيقة في وزن الحوادث والدعوات والأشياء (١٢١) ،في غير المقاييس المادية ومنها الطعام والشراب واللذات الأخرى (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) .

ولذلك ، فإن الله تعالى في قوله : (فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (١٢٢).. قد بين أسباب إهلاك الأمم المتقدمة إلى أمرين :

الأول : ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الأرض .

الثاني : انشغالهم بالمال واللذات ، وامتياز ذلك عن الآخرة (١٢٣) .

وفي ذلك إشارة إلى أن سنن الله تعالى في الأمم تقضى ، إن الأمة التي يقع فيها الفساد لتعبيد الناس لغير الله في صورة من صوره ، فيجد من ينهض لدفعه هي أمم ناجية ، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير ، أما الأمم التي يظلم فيها الظالمون ، ويفسد فيها المفسدون ، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد ، أو يكون فيها من يستنكر ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد ، فإن سنة الله تحق عليها إما بهلاك الاستئصال ، وإما بهلاك الانحلال والاختلال (١٢٤) .

وهنا تبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده ، الدافعين للظلم والفساد بكل صوره ، والذين يحولون بجهادهم دون أممهم وغضب الله واستحقاق النكال والضياع ، فكانوا بحق صمام الأمان للأمم والشعوب (١٢٥) .

إن انتشار وسائل الترف وسيادة أخلاق المترفين ، تحول العلاقة بين الحكام والمحكومين إلى علاقة مادية مطلقة ، تسمي الماديات وحدها هي القيم العليا والغاية المرجوة ، وهذا مما ينذر بالويل والثبور،من جدب وقحط وقلة الربح في الزراعات ومحق للبركات من كل شيء (١٢٦) ذلك ما صوره القرآن الكريم بقوله تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (١٢٧) وقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (١٢٨) .

لقد تميزت قوى الكفر ، منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، بالجنوح المادي ، يملأ كيانها بالتعاسة والشقاء ، ويعلن عن نقص كبير وانحراف خطير في تجربة هؤلاء الكفار ، الذين يزدادون تجبراً وطغياناً كلما ازدادت هزائمهم المنكرة ، وخسائرهم ، وربما كان هذا الانحراف ،إحدى سنن القدر في مواصلة هؤلاء الانحدار إلى المصير المظلم المحتوم (وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ)(١٢٩).

ثامنا.الباطل والنفاق:الباطِلُ ضد الحق والجمع أباطِيلُ(١٣٠).الباطل خلاف الحق ومعناه الزائل.(١٣١).تكرر ذكر الباطل عشر مرات في القرآن الكريم ،في تسع آيات من الذكر الحكيم. وله في كتاب الله معان عدة منها: الشرك،والشيطان،وما أشركوا به تعالى من الأصنام والأوثان،والكفر والمعاصي.ومن الآيات الكريمة التي جاء فيها ذكر الباطل: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)(١٣٢).وقل جاء الحق الإسلام، وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك.إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت.عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها فيقول: جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها(١٣٣).

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)(١٣٤)، الباطل أي الشيطان وما أشركوا به الله تعالى من الأصنام والأوثان، وأن الله هو العلي الكبير، العلي في مكانته الكبير في سلطانه(١٣٥).(وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ

الْكَافِرِينَ)(١٣٦)(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)(١٣٧).بأمره إياكم أن تجاهدوهم ويقطع دابر الكافرين أي يستأصلهم بالهلاك.ليحق الحق أي يظهر دين الإسلام ويعزه ويبطل الباطل أي الكفر وإبطاله إعدامه كما إن إحقاق الحق إظهاره(١٣٨).

(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)(١٣٩).القذف الرمي أي نرمي بالحق على الباطل فيدمغه أي يقهره ويهلكه وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ ومنه الدامغة. والحق هنا القرآن والباطل الشيطان و الباطل كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته وأراد بالحق الحجة وبالباطل شبههم والحق المواعظ والباطل المعاصي والمعنى متقارب والقرآن يتضمن الحجة والموعظة فإذا هو زاهق أي هالك وتالف(١٤٠).

وقوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ذلك بأن الذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ)(١٤١)،ذلك في موضع رفع أي الأمر ذلك أو ذلك الإضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا فالكافر اتبع الباطل والمؤمن اتبع الحق والباطل الشرك والحق التوحيد والإيمان(١٤٢).

والنِّفاقُ: الدخول في الإسلام من وجْه والخُروج عنه من آخر، والمنافق الذي يَسْترُ كُفْره ويظهر إيمانهً (١٤٣).وردت لفظة النفاق والمنافقون ونافقوا في خمسة مواضع من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)(١٤٤) .يقول تعالى ذكره: ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقوله مردوا على النفاق يقول مرنوا عليه ودربوا به ومنه شيطان مارد ومريد وهو الخبيث العاتي ومنه قيل تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته واعتادها ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون.(١٤٥).

الباطل والنفاق أضعف القواعد ، وأوهاها وأقلها بقاء ، قال تعالى : (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ_ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١٤٦) . كان التصوير القرآني ، لحالة قلة الثبات والاستمساك ، بشفا الجرف الهاري ، فطاح به في نار جهنم (١٤٧) بعد أن استنزف كافة مسوغات بقائه ، فأصبحت الحاجة إلى إزاحته من الوجود ، وفسح الطريق أمام غيره لا تحتاج إلى عناء كبير ، (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (١٤٨) .

أوضح القرآن الكريم . إن الإنسان بممارسته الخاطئة وبرفض الالتزام بدوره ، كخليفة لله تعالى في الأرض، يقود الأمم والشعوب والحضارات إلى الدمار (١٤٩) ، على إن العقاب الإلهي ليس بالضرورة أن يكون دماراً شاملاً ، كما حل بالأمم السابقة إنما يكون من خلال صيغ متعددة ، عبر الفعل البشري نفسه ، قال تعالى : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ

أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (١٥٠) .

قال المفسرون : (من فوقكم) أي من الأمراء ، (ومن تحت أرجلكم) أي من السفلة (١٥١) ، (ويلبسكم شيعاً) يجعلكم فرقاً على أهواء مختلفة (١٥٢) ، ويقوي عدوكم حتى يخالطكم ، وإذا خالطكم ، فقد أبعدكم ، فيقاتل بعضكم بعضاً (١٥٣) .وقال مجاهد : والآية عامة في المسلمين والكفار (١٥٤) فإن الجماعة المؤمنة إذا تخلت عن موقعها الوسط ، وعن دورها ، فإنها تلقى نفس المصير الذي قد يصل إلى الاستئصال نتيجة خيانتها لعقيدتها ، والله سبحانه وتعالى ، لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً إلا أن يتواصوا بالباطل ، ولا يتناهون عن المنكر ويتباعدون عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم ، وفقاً لقوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (١٥٥) ويدل عليه قوله ﷺ ((حتى يكون بعضكم يهلك بعضاً ، ويسيء بعضكم بعضاً)) (١٥٦) وكل ذلك يجري وفق سنن الله تعالى وإرادته في عملية الاستبدال الشاملة ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (١٥٧) .

تاسعا. الجهل :الجهل : ضد العلم ، وتجاهل : أرى من نفسي ذلك وليس به ، واستجهله عده جاهلاً واستحقه (١٥٨) .والجاهل : من ليس له علم بالأمور الدينية وغيرها ومنه الطيش والسفه والحمق ، والأنفة والغرور وحمية الجاهلية ، والردى من مظاهر الجاهلية الأولى (١٥٩) .

عد القرآن الكريم العبث وسخف القول واللغو من صفات الجاهلية ، كما عد الدعوة إلى غير منهج الله جل وعلا من سمات الجاهلية ، فنهى المؤمنين عن مخاطبة الجاهلين وأوصاهم بالترفع عنهم والابتعاد عن مخالطتهم ، قال تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (١٦٠) وقال تعالى :(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) (١٦١) ومن مظاهر الجهل التي عدها القرآن الكريم أسباباً لما حاق بأصحابه من التدمير والإهلاك :

١.الاستهزاء والسخرية التي واجه بها قوم موسى نبيهم عندما تمادوا في تجاهلهم ولغوهم الذي قابلوا به موسى عليه السلام ، عندما طلب منهم تنفيذ أمر الله وذبح البقرة (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (١٦٢) .

٢.التمسك بالعادات والتقاليد الموروثة من أحكام الجاهلية ، وما تجدد من أغراضهم وشهواتهم ، وفق أهوائهم ومصالحهم ، وعده من أحكام الجاهلية فقال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (١٦٣) .

٣.كان جهل قوم موسى معنى الألوهية، وعدم فقههم لمعنى التوحيد ،هو الذي دعاهم الى مطالبة موسى أن يجعل لهم آلهة مرئية ، بعد أن نجاهم الله من فرعون وملئه ، ولذلك قال تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (١٦٤) .

٤. وأدى جهل قوم لوط ، بعواقب أفعالهم المنكرة إلى ممارسة المنكر في نواديهم دون حياء ، فكان وصفهم بالجهل (١٦٥) ، مدعاة لما حل بهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة . لقد حذر القرآن الكريم من الجهل ، ودعا إلى طلب العلم وحث عليه حتى كان العلم هو الأساس المتين التي قامت عليه الحضارة الإسلامية ، منذ اللحظات الأولى لنزول الوحي .

علم الله جل وعلا الإنسان أسماء جميع الأشياء .. جليلها وحقيرها ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم (١٦٦) ، قال تعالى : (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١٦٧) ، فأحاطت لفظة كلها بعموم الأشياء ، وبذلك أعطت الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات (١٦٨) . لقد كان اختصاص آدم بالعلم متصلاً بالأرض والحياة علة ظهورها ، واستكشاف قواها وأسرارها . ولا بد أن تتسع هذه المعرفة الآدمية لتشمل على علوم الكون والحياة ، من خلال البحث والتجربة ، كما أوتي الإنسان عقلاً يقدر من خلاله تسخير عناصر الكون لنفسه ، فاستدل من خلاله على معرفة آيات الله في الملكوت واستدل على بانيه وبارئه ، وقدرته ، ليعرف منه بعد ذلك قدرته جل وعلا وإحاطته فيقدره حق قدره ، ثم يسبح بحمده ويهتف بمجده (١٦٩) .

أودع الله سبحانه وتعالى ، في هذا الدين خصائص (١٧٠) ثابتة ترتكز عليها حضارته ، مما يجعلها دائمة العطاء والتجدد كالعموم ، والخلود والشمول والكمال والإنسانية والواقعية والوسطية والعلم والوضوح ، ويقينية المصدر وختمها للنبوات جميعاً ، وبهذا كانت الشريعة الإسلامية حضارة متنوعة المظاهر ، واحدة المصدر (١٧١) .

وردت كلمة العلم في القرآن الكريم، مرادفة لكلمة الدين نفسه، حيث يغدو العلم والدين سواء ، الأمر الذي يؤكد موقف القرآن الكريم من العقل وضرورة احترامه ، كما يؤكد أنه ليس هناك أي تناقض بين العلم الصحيح وبين معطيات الدين (١٧٢) قال تعالى : (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ) (١٧٣) ، وقوله تعالى : (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) (١٧٤) .

لقد صورت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ، المنطلق العلمي الذي رسمه القرآن الكريم والذي سار عليه في تنظيم الحياة .. (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)(١٧٥) ، فجاء الأمر الرباني بالعلم والتكليف به استفتاحاً وبداية تستند إلى العلم والقراءة ، في وسط عالم يسوده الجهل ،وتنظيم العملية التعليمية الأساسية بعد ذلك ، وكانت القراءة أساس التعليم فيها ، ووسيلة التعليم هي الكتاب والقلم ، وغاية العلم معرفة المجهولات وعلم ما لم تعلم ، ومصدر العلم هو الله تعالى ، وتبدو الإلزامية في

التعليم واضحة من تكرار قوله تعالى (اقرأ) واستفتاح العلم باسم الله (١٧٦) . وفي الحديث الشريف : ((إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم)) (١٧٧) ، وهو أدب الملائكة منذ سجدوا لآدم عليه السلام ، تأدبت به ، فكلما ظهر لها علم في بشر خضعت له وتواضعت وتذللت إعظاماً للعلم وأهله (١٧٨) .

لقد ملك سليمان عليه السلام ، الدنيا كلها ، ولكنه افتخر بالعلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (١٧٩) ، وقال تعالى لما ذكر كمال حال داود وسليمان مقدماً العلم أولاً : (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ... وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (١٨٠) ، ومدح الله جل وعلا يعقوب عليه السلام ، مع ما له من الصفات الكثيرة (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَعْلَمُونَ) (١٨١) . وكلن ترشيح يوسف عليه السلام لمنصب خزائن الأرض لعلمه : (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (١٨٢) ، وكان النبي موسى عليه السلام مواظباً على طلب العلم والاستزادة منه (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (١٨٣) ، وكان للبسطة في العلم الأولوية على غيرها في قصة اصطفاء طالوت وإن كانت القوة الجسمية معنية في الحرب والعدة عند اللقاء (١٨٤) ، وبذلك بين جل وعلا شرف الفضائل النفسانية وتقدمها على الفضائل الجسمانية (١٨٥) . قال تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (١٨٦) .فأطلق لفظ الظالم لنفسه بمعنى الجاهل ، أما من يعلم فكان مقتصداً ، وأعطى معنى السابق لمن تعلم وعلم (١٨٧) .

لقد أخبر القرآن الكريم إن باستطاعة الإنسان أن يحقق عن طريق العلم من القدرة والعزة والمكانة والكفاية ما لم يوفره له سبب آخر (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) (١٨٨) . وهكذا استطاع الإنسان من خلال العلم ، وإتقانه تحقيق فضيلة القوة العلمية الجامعة لمعاني الحكمة التي أعطاها الله جل وعلا لمن يشاء ممن تؤهله صفاته العلمية والإيمانية ، وهو منتهى الخير الكثير الذي يمكن أن يمنحه الله جل وعلا لعباده (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (١٨٩) . قال بعض الحكماء : من أعطي العلم والقرآن، ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياه، فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سما الدنيا متاع قليل فقال : (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ) (١٩٠) ، وسما العلم والقرآن (خيراً كثيراً) (١٩١) .

لقد وضع الله جل وعلا العلم في مكان رفيعة ، وهو سبحانه وتعالى يكرم أولى العلم بضمهم إليه ، والعلم المقصود هنا ، يعني كل معرفة تزيد الإنسان صلته بالله وتمكنه من القيام بواجبات خلافته في الأرض وعمران الحياة فيها، وإقامة العدل الإلهي بين الناس ، لأن الإسلام لا يفصل بين علم مجاله الإيمان بالغيب فقط وعلم مجاله الإيمان بالملاحظة معاً وبعالم الوحدانية والشعور (١٩٢).

خاتمة البحث

ذكرَ القرآن الكريم أسبابا عدة لإنهيار الحضارات،منها: الأسباب الأعتقادية،وهي الانحراف الفكري الذي عبر عنه القرآن الكريم بالكفر، الذي يرفض صاحبه منهج الله القويم ، ويرضى

بالتلقي عن غيره ، وهو عاجز مثله عن الإحاطة بما يصلحه ، فيصبح بذلك فاقدا للرؤية السديدة ، ثم يتحول إلى عامل هدم لنفسه ومجتمعه وحضارته.

والأسباب الإجتماعية التي درسناها في هذا البحث تسعة ،وهي: التكبر والظلم والصد عن الحق ونكث العهود والأجرام والفسوق والجنوح المادي والباطل والنفاق والجهل.

إن الأسباب الأجتماعية، التي جعلها الله سبحانه وتعالى، مسؤولة عن سوء مصير الأقوام والشعوب والدول والحضارات ،أسباب تكسبها المجتمعات بنفسها، وتسير في طريقها الى نهايته، لتتحقق بها إرادة الله سبحانه وتعالى،فيمن تبلغ حاله ما بلغته تلك القوام.لذلك فإن تغيير الله في حال الأقوام، التي سلكت مسلك الشر، يأتي بعد أن تغير هي في أحوالها، بإختيارها وبإرادتها،حتى إذا وصلت الى الدرجة التي تعمل فيها سسن الله تعالى(قوانينه)في المجتمعات، حدثت المنعطفات الرئيسة في حياتها .

إن تحقق سنة التغيير في المجتمع ،مثل تحقق سنة الغليان للماء،فكلاهما قانونان أودعهما الله في الحياة الإجتماعية وفي الكون الطبيعي.يتحققان بفعل وإرادة. وسنة التغيير في المجتمعات تتحقق، كمحصلة لإرادة وفعل الناس،عبر أسبابها التي ذكرناها في هذا البحث.وإرادة الخالق المبدع حاضرة فاعلة في كل الأحوال ،وفي تحقق السنن الأجتماعية كذلك ،فأيما مجتمع تتغير أحواله بأفعاله نحو الأسوء، بفعل التكبر والظلم والصد عن الحق ونكث العهد والإجرام والفسوق والترف والباطل، والذي تقوده القمم الإجتماعية،عبر تلك الأعمال،ستبلغ يوما ما خط الهاوية لا محالة، إذا لم تُحْدِث التغيير الإيجابي،وعند ذلك لا أحد بإمكانه الأعتراض على إرادة الخالق العظيم، عندما تتحقق سننه الإجتماعية فيها، ولا أحد من خلقه بقادر على إيقاف تدخله سبحانه في حسم مواقف تلك المجتمعات، التي اختارت الظلال والظلم والتكبر والفساد،الذي قادهااليه شياطينها من الأنس والجن.

إن الإنحدار إلى هاوية الإنهيار يبدأ من فساد القمة الإجتماعية(قمة الهرم الاجتماعي) ، ففسادها نذير صارخ بإفساد المجتمع ومن ثم إنهياره ، لذلك يحملها القرآن الكريم المسؤولية الكبيرة فيما تؤول إليه أحوال المجتمعات .وعليه يقرر القرآن الكريم إن ساعة السقوط تحين ، حين يتسلم المسؤولية المتكبرون والظلمة والفسقة ، فيمارسون من مواقع السلطة ، كل أسلوب من شأنه أن يؤول إلى إلحاق التفكك والدمار بالأمم، التي أرتضتهم قادة لها،من التكبر والظلم والإجرام والفسوق والترف والإستغلال واستخدام أقصى درجات القسوة والبطش بالخصوم .وقد صور القرآن الكريم هؤلاء الطواغيت وهم في قمة الجاه والثروة والسلطان أدوات بيد الله يسخرهم من حيث لا يدرون لإنزال عقابه العاجل بطرفي الجريمة ، السلطة التي تظلم ، والقاعدة التي ترضى بالظلم.

شغلت الأقوام التي تعرضت للإنهيار والسقوط قبل الإسلام،مساحة مهمة في الكتاب الكريم،وبينت آي الذكر الحكيم أسباب توقفها عن السير في طريق البناء والتقدم .إن القرآن

الكريم ذاكرة حية،غاية في الدقة، يقدم للإنسانية خلاصة تجارب أسلافها لتفيد بها، فتتجنب السيرفي السبل التي أوصلتهم الى الهاوية(١٩٣).

إن الحضارة نشأت أول مرة مرتبطة بمنهاج الوحي ، ولايمكن لاي حضارة أن تحقق سعادة لأصحابهاإلا بطريق واحد،هوطريق السير على المنهج الرباني،لتظل الحضارة مزدهرة دائمة التقدم.إلا أن الأقوام التي أورد القرآن الكريم قصص إنهيار حضاراتهاجانبوا المنهج وأنكروا الوحي،وقننوا الظلم ونظموا البغي،وأستكبروا على كل حق ومنهم قوم عاد،الذين أتخذوا القصور للعبث واللهو،وأستشروا القوة للبطش والقتل والتنكيل وهذه مظاهر مشتركة ومنكرة في عامة الحضارات التي لا تستقيم على منهج الحق ،إذ يمتص مترفوها دماء اممهم وشعوبهم المستضعفة، فيتكدس لديهم فائض مالي رهيب،لا يجدون وسيلة لإنفاقه إلا في السفه الجنوني(١٩٤).

إن التأخر في كشف السنن الأجتماعية له أسبابه، ومنها أن البشرية في عصرنا الحاضر، لم تقف وقفة جادة أمام الحقائق الأعتقادية والاجتماعية التي أهداها الخالق العظيم في كتابه الكريم لها، ولم تتمثلها في حياتها لتحقق تقدما متوازنا في كل ميادينها،وليس في ميدان واحد فحسب،وهو ميدان العلوم والتقنية، المعتمد على اكتشاف السنن الكونية،عن طريق التجربة والمختبر والمصنع .

إن العقائد الفاسدة ،كما يقرر القرآن ،والممارسات المتنوعة المترتبة عليها،تسوق المجتمعات الى الخراب.إن احتكار الرأي والثروة والنفوذ والجاه من قيل فئة صغيرة من المجتمع، واستخدامها للتحكم برقاب الناس، واستغلال جهودهم وطاقاتهم في خدمتها،لتحقيق المزيد مما تحتكره وتستأثر به لخاصتها،واستخدامها السيئ لما تحصل عليه بجهود الآخرين،سيجر حتما الى تغييرات مدمرة في المفاهيم والأخلاق والعلاقات، و ويحدث صراعات، ويهئ لتغييرات داخلية وخارجية ستحصل حتما،لا تصيب تلك الفئة الصغيرة المتكبرة والظالمة والمجرمة بمآسيها فحسب..إنما ستصيبها ومجتمعها كله .

والترف ممارسة مدمرة سواء للجماعة التي تسكن عليها أو للمترفين.ولا يتحقق الترف في مجتمع إلا ويقابله فقر وحرمان ترتع فيه غالبية المجتمع التي تنتشر فيها بسببه أمراض إجتماعية لاعد ولاحصر لها تجعل المجتمع منخورا من داخله وعرضة للسقوط أمام أية عاصفة.إن الأكثرية المسلوبة الإرادة والحرية والكرامة والحقوق،أقلية هزيلة ضعيفة لاتقدر على شئ ولاتصمد أمام شئ ولا تقاتل أي عدو لها أو لقياداتها المترفة المتنعمة المتبطرة ،التي أذاقتها الوان الذل والعسف والخذلان والحرمان ولا تدفع عن نفسها أي خطر وأي ظلم ،ولذلك فإن مغادرتها وقممها الإجتماعية مسرح الحياة والأحداث متحققة بلاشك وطبيعية بلا شك وفق قوانين الحياة وأسباب تحققهافي القرآن الكريم،وهي حال الأقوام التي دارت قصص القرآن الكريم عليها وهي حال غيرهم ممن هم على شاكلتهم في أي زمان ومكان .

إن كل سبب من الأسباب التي درسناها ، مما جعله سبحانه وتعالى، في كتابه الكريم،من أسباب الضعف والتدهور والسقوط للمجتمعات،له في واقعها صورا ومعطيات متنوعة، فكرية وعقائدية

ونفسية وإجتماعية واقتصادية ،تعمل مجتمعة وبتفاعل بينها ، و بها تصل الشعوب الى ما تصل إليه من التغيير في أحوالها.

إن بإمكان الشعوب تجنب مصائر الأقوام التي كانت قبلها وما تعرضت له من إنهيار،وبإمكانها أن تحقق تقدما مطردا ،إذا هي أفادت من تجارب أسلافها، الشعوب صانعة الحضارات الأولى،التي ملأت اذن التاريخ وسمعه ،بما كان لها من منجزات حضارية مدهشة، غير أن منجزاتها تلك،لم يكتب لها الأستمرار بالتقدم،ولم يكتب لشعوبها بالاستمرار على مسرح الحياة،لإسباب ذكرها القرآن الكريم ،تجنبها يفتح أمامها طريق التقدم المستمر. وهذا واحد من أبرز ما يخرج به المستقرئ لآيات الذكر الحكيم .ولذلك ينبغي للحكماء في إمتنا،وفي الأمم الأخرى،الاستجابة لكتاب الله الخالد، وأخذ الحقائق والسنن والأسباب التي وردت في آياته الكريمة بقوة،خدمة للناس فيما يخططون لهم في حاضرهم ومستقبلهم،وحفاظا على ما أنجزته شعوبهم من تقدم،وفي اي ميدان من ميادين الحضارة .

. الهوامش .

(١)كريم عجيل حسين، محيي هلال السرحان ،عبد الملك محمود محمد اللافي،السنن الإجتماعية في القرآن الكريم(تمهيد لدراسة إنهيار الحضارات في القرآن الكريم)،مقدم للنشر في(مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية،جامعة الأنبار) .

(٢)، سيتم تناول الأسباب الأعتقاديةفي بحث مستقل،يتقدم في تسلسله الموضوعي،على موضوع هذا البحث.والبحثان سيشكلان معا دراسة متكاملة في أسباب إنهيار الحضارات في القرآن الكريم .

(٣) سورة طه/:من الآية١٢٣ والآيات١٢٤ -١٢٧.(كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) (سورة طه/الآية:٩٩-١٠٠).

(٤) سيد قطب،في ظلال القرآن،(بيروت، القاهرة،دار الشروق،ط٧،٦ ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

(٥)محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح،(بغداد ،مط،بابل،١٩٣٨)، : ص ٥٦١ .جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت٧١١ هـ)،لسان العرب ،(بيروت ،دار صادر ودار بيروت :١٩٥٥،١٩٥٧)،(مادة:كبر).

(٦)فخري الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي(ت٦٠٦هـ) ، التفسير الكبير(مفاتح الغيب)،بيروت ، دار الفكر،ط،٣، ١٩٨٥): ١٥ / ٤ .

(٧)أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، (ت ٥٠٥ هـ) كتاب الأربعين في أصول الدين ،(القاهرة مكتبة الجندي ،بلا) : ص ١٤٧ .

(٨) سورة الأعراف/من الآية: ١٤٦ .

(٩)ابن منظور ،لسان العرب ،(مادة:كبر).

(١٠)م،ن،(مادة:كبر).

(١١) الرازي : التفسير الكبير : ١٥ / ٤ .

(١٢) محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي(مصر،مطابع أخبار اليوم ، د.ت):ص ٤٣٥٥ .

(١٣) محمد كمال جعفر ، الإنسان والأديان ، دار اللواء (الرياض ١٩٨٤) : ص ٢٤ .

(١٤) سورة العلق / الآية : ٦ .

(١٥) سورة النساء/الآية:١٧٣.

(١٦) سورة الأعراف /من الآية : ١٤٦ .

(١٧) سورة الإسراء / الآية : ٣٧ .

(١٨) سورة لقمان / الآية : ١٨ .
(١٩) ابو عبد الله الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن(القاهرة، دار الكتب المصرية:١٩٣٥-١٩٥٠) : ٥ / ٢٦١ .
(٢٠)ابوالحسين مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ)،صحيح مسلم،(القاهرة،مطبعة محمد علي صبيح، بلا):١/٦٥.
(٢١) الغزالي ، الأربعين في أصول الدين : ص ١٤٥ .
(٢٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٤ / ٥٣٩ – ٥٤٠ .
(٢٣) سورة الشعراء / الآية :١١١ .
(٢٤) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٤ / ١٥٧ .
(٢٥) سورة هود / الآية : ٦٠ .
(٢٦)الرازي : التفسير الكبير : ١٤ / ١٦٥ .
(٢٧) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٨ / ٥٩٢ .
(٢٨) سورة الشمس / الآيات : ١٢ – ١٤ .
(٢٩) سورة هود / الآية : ٨٠ .
(٣٠)كانت القرية – فيما سبق – تعبيراً عن البلد الذي توجد فيه كل متطلبات الحياة ، ولذلك كانت مكة ام القرى ، الشعراوي ، تفسير الشعراوي: ٧ / ٤٧٤٣ .القرية:وهي المدينة الكبيرة والعاصمة .سيد قطب، في ظلال القرآن:٣/١٢٠٢.
(٣١) سورة الأعراف / الاية : ٨٨ .
(٣٢)ابو القاسم جاد اللهبن مجمد بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحق محمد صادق قمحاوي،(القاهرة،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٧٢): ٣/ ١٧٠ ؛عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،(ت٩١١هـ) ، الدر المنثور،في التفسير بالمأثور،(مصر،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣١٤هـ) : ٦ / ٤٣ .
(٣٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٨ / ٥٧١ .
(٣٤) سورة النازعات / الآية : ٢٤ .
(٣٥) الزمخشري ، الكشاف : ٢ / ٢٤٦ ؛ابو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي،(ت٧٧٤هـ) ،تفسير القرآن العظيم،(تفسيرا بن كثير)،(عمان،د.ت) : ٣ / ٥٢٠ – ٥٢١ .
(٣٦) سورة يونس / الآية : ٨٣ .
(٣٧) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٣ / ١٠١ .
(٣٨) سورة النمل / الآية : ١٤ .
(٣٩) ينظر:مصطفى صادق الرافعي،وحي القلم،(بيروت ،دار الكتاب العربي،١٣٢١هـ)،١٢٣/٣.
(٤٠) الرازي ، مختار الصحاح : ص ٤٠٥ .
(٤١) سورة الأنعام/ الاية:٨٢.
(٤٢) سورة لقمان/ من الآية:١٣.
(٤٣) سورة البقرة/ من الآية:٥٧.
(٤٤) الرازي ، : ١٤ / ١٩٠ ؛ابن منظور،لسان العرب(مادةالظلم).
(٤٥)ابو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي ،كتاب حجج القرآن،تحق أحمد عمر المحمصاني،(بيروت،دار الرائد العربي،ط، ٢،١٩٨٢)١/٣٤.
(٤٦) التفسير الكبير : ٢٥ / ٦٧ .
(٤٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ٢٠٢٨ .
(٤٨) الشعراوي ، تفسير الشعراوي : ٧ / ٤١١٥ ، ٤١٢٨ ، ٦٥٠١ .
(٤٩) سورة الإنفال / الاية : ٢٥ .
(٥٠)سورة القصص/ الآية: ٤،ومن الآية:٣٨.

(٥١) سورة طه/الآية:٢٤،سورة النازعات/الآية:١٧.
(٥٢) سورة يونس/الآية:٨٣.
(٥٣) سورة البقرة/الآية:٥٠.تنظر بقية الآيات الكريمة:(البقرة:الآية٤٩)(لأنفال:٥٢) (آل عمران:١١) (لأعراف:١٠٣) (لأنفال:٥٤) (طه:٤٣) (طه:٧٩) (النمل:١٢) (التحريم:١١) (النازعات:١٧).
(٥٤)مسلم ، صحيح مسلم : ٨ / ١٨ .
(٥٥)م،ن : ٨ / ١٨ .
(٥٦)ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري،تقديم محمد محمد شاكر،(بيروت ،دار الجيل،بلا) : ٢ / ٨٦٤ .
(٥٧) سورة الإسراء / الآية : ٥٩ .
(٥٨)ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمرا لبيضاوي(ت٧٩١هـ !)، تفسير البيضاوي، تحق عبد القادر عرفات العشا حسونة(بيروت ، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م" قرص مدمج":٣/٤٥٣.أيضا:م.ن:١/٣،٣٢٧، ٣/٤٥٣.
(٥٩) سورة الشمس / الآية : ١١ .
(٦٠) سورة هود / الآية : ٨٣ .
(٦١)الشعراوي ، تفسير الشعراوي : ٧ / ٤٢٣٤ .
(٦٢)الرازي ، مختار الصحاح : ص ٣٥٧ ؛محمد مرتضى الزبيدي،(ت١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من شرح جواهر القاموس،تحق،مصطفى حجازي،(بيروت،بلا):٨ / ٢٦٦ .
(٦٣) الرازي ، التفسير الكبير ٢٠ / ٩٨ .
(٦٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١ / ٥١٣ .
(٦٥) سورة النساء / الآية : ٥٥ .
(٦٦) سورة البقرة / الآية : ٢١٧ .
(٦٧) سورة آل عمران / الآية : ٩٩ .
(٦٨) سورة البقرة / من الآية : ١٢٦ .
(٦٩) الرازي ، مختار الصحاح : ص ٦٨٧ .
(٧٠) الزبيدي ، تاج العروس : ٥ / ٣٧٦ وما بعدها .
(٧١) محمد حسن الحمصي،قرآن كريم،تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي،(دمشق ،بلا): ص٢٢٠.
(٧٢) محمد بن عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية،(مصر، مطبعة مصطفة البابي الحلبي ، ١٩٣٦) : ٢ / ١٤٨ .
(٧٣) شعراوي ، تفسير الشعراوي : ٨ / ٤٨١٨ – ٤٩٢١ .
(٧٤) سورة الفتح / الآية : ١٠ .
(٧٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ٧ / ٤٩٧ .
(٧٦) الرازي ، مختار الصحاح : ص ١٠٠ .
(٧٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٢٢٧ .
(٧٨) ابن كثير ، تفسير ابن كثير : ٥ / ١٩٦ .
(٧٩) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٧ / ٤٢١ .
(٨٠) الرازي ، التفسير الكبير : ١٨ / ٢٢ .
(٨١) الشعراوي ، تفسير الشعراوي : ٧ / ٤٢٣٤ .
(٨٢) سورة الأعراف / الآية : ٤٠ .
(٨٣) سورة الأنعام / الاية : ١٢٣ – ١٢٤ .
(٨٤)سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٣ / ١٢٠٢ .
(٨٥) سورة التوبة / الآية : ٦٦ .

(٨٦) سورة الأنفال / الآية : ٨ .
(٨٧) سورة يونس / الآية : ١٣ .
(٨٨) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٣٤٢ .
(٨٩) سورة العنكبوت / الآية : ٣٤ .
(٩٠) سورة الحجر / الاية : ٥٨ .
(٩١) سورة الذاريات / الآية ٣٣ .
(٩٢) أحمد بن حنبل الأمام(ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد،(بيروت،دارصادر، المكتب السلامين١٩٦٩) : ٣ / ٢٩٦ ،ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري،(ت٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين،تحقيق محمد عبد القادر عطا،(بيروت،مط،دار الكتب العلمية،١٩٩٠): ٢ / ٣٢٠ .
(٩٣) محمد الصادق عرجون ، سسنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الدار السعودية (الرياض، ط٣،١٩٨٤): ٣٧-٣٨.
(٩٤) سورة الإسراء: الآيات : ١٦-١٧.
(٩٥)سورة الأنعام/الآية:١٢٣.
(٩٦)عماد الدين خليل ، التفسير الإسلامي للتاريخ،(الموصل، مطب،الشعب،١٩٨٥):٦٧ ؛ أنور الجندي ، الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة،(القاهرة،دارالاعتصام،١٩٥٧): ١١.
(٩٧) محمد سعيد رمضان البوطي،منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،(دمشق،:دار الفكر،١٩٨٣)،٥٦.
(٩٨) سورة سبأ/ الآيات:٣٠-٣٣.
(٩٩) الرازي : ٥٠٣ .
(١٠٠) الكشاف : ٣ / ٥٦٠ .
(١٠١) التفسير الكبير : ٢٨ / ١١٤ – ١١٥ .
(١٠٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٦ / ٣٧٩ .
(١٠٣) سورة الحجرات /من الآية : ١١ .
(١٠٤) الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٣٤٢ .
(١٠٥) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٧ / ٢١٩ .
(١٠٦) سورة يونس / الآية ١٠ .
(١٠٧) سورة السجدة / الآية ٢٠ .
(١٠٨) سورة الحجرات / من الآية : ٦ .
(١٠٩) سورة السجدة / الآية : ١٨ .
(١١٠) سورة الأحقاف / الآية : ٢٠ .
(١١١) سورة البقرة / الآيات : ٥٨ – ٥٩ .
(١١٢) سورة النساء / من الآية : ٤٧ (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) .
(١١٣) سورة الحديد / الآيات : ١٦ – ٢٦ – ٢٧ .
(١١٤) سورة الأعراف / الآية : ١٦٥ .
(١١٥) سورة العنكبوت / الآية : ٣٤ .
(١١٦) سورة المائدة / من الآية : ٣ .
(١١٧) سورة الأنعام / الآيات : ١٢١ ، ١٤٥ .
(١١٨) سورة التوبة / الآيتان : ٦٧ ، ٨٤ .
(١١٩) الرازي ، مختار الصحاح : ص ٧٧ .
(١٢٠)عماد الدين خليل ، التفسير الإسلامي للتاريخ : ٢٧٢ – ٢٧٣ .
(١٢١)راشد البراوي ، التفسير القرآني للتاريخ،(القاهرة ،دارنافع للطباعة،١٩٧٦): ١٥٩ – ١٦٤ ؛ عرجون : سنة الله في المجتمع : ٣٦-٣٧ ؛عماد الدين خليل ،التفسير الإسلامي للتاريخ : ٢٧٢-٢٧٣ .

(١٢٢)سورة هود / الآيتان ١١٦-١١٧ .
(١٢٣)الرازي ، التفسير الكبير : ٩ / ٧٦-٧٧ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١١٣/٩ .
(١٢٤)عبد السلام داود سويدان الكبيسي،البناء الحضاري في القرآن الكريم ، (رسالة ماجستير في أصول الدين ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣ م): ص ١٧٨ .
(١٢٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٤ / ١٩٣٣ ؛ ماجد عرسان الكيلاني ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، (الدار السعودية ١٩٨٥م) : ص ١٢٥ .
(١٢٦)عبد الكريم عويس، تفسير التاريخ علم إسلامي،(القاهرة،دار الصحوة،١٩٧٧): ص ١٨٤ ؛ البوطي ، منهج الحضارة الإسلامية في القرآن : ٤٥-٥٥ .
(١٢٧) سورة الروم / الآية : ٤١ .
(١٢٨) سورة الشورى / الآية : ٣٠ .
(١٢٩) سورة هود / الآية : ٦٠ .
(١٣٠)مختار الصحاح ٢٣،٦٢/١.
١٣١)القرطبي، تفسير القرطبي،٣٤١/١-٣٤٢.
(١٣٢) سورة الإسراء/الآية:٨١.
(١٣٣) البيضاوي، تفسير البيضاوي٤٦٣/٣.
(١٣٤) سورة الحج/الآية:٦٢ أيضا:سورة لقمان /الآية:٣٠.
(١٣٥) القرطبي،تفسير القرطبي: ٧ /٧٩.
(١٣٦)سورة الأنفال/من الآية:٧ .
(١٣٧)سورة الأنفال/ الآية: ٨ .
(١٣٨)القرطبي،تفسير القرطبي: ٣٧٠/١١ .
(١٣٩) سورة الأنبياء/الآية :١٨.
(١٤٠) القرطبي،تفسير القرطبي:٢٧٧/١١.
(١٤١)سورة محمدج الآية:١-٣.
(١٤٢) القرطبي،تفسير القرطبي:٢٢٥/١١؛ابن منظور،لسان العرب،٠مادة :نفق).
(١٤٣)لسان العرب(نفق).
(١٤٤)سورة التوبة/ الآية:١٠١.تنظر الآيات: سورة آل عمران /الآية:١٦٧؛ سورة الحشر/ الآية:١١.
(١٤٥)الطبري،تفسير الطبري،٩/١١.
(١٤٦) سورة التوبة / الآية : ١٠٩ . جاءت الآية الكريمة مباشرة بعد آيتين من السورة نفسها ذكرت بناء مسجد ضرار الذي ابتناه المنافقون :الآية: ١٠٧،١٠٨.
(١٤٧) الزمخشري ، الكشاف : ٢ / ٢١٥ .
(١٤٨) سورة محمد / من الآية : ٣٨ .
(١٤٩) عماد الدين خليل ، التفسير الإسلامي للتاريخ : ص ٣٢٠ .
(١٥٠) سورة الأنعام / الآية : ٣٨ .
(١٥١) الرازي ، التفسير الكبير : ٧ / ٢٤ ؛ أبو الخير عبد الله بن عمر ناصر الدين البيضاوي القاضي ، (ت٦٨٥هـ) تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٨٨) : ١ / ٣٠٥ .
(١٥٢)ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت٣١٠هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح : محمود محمد شاكر ، (مصر، دار المعارف، بلا) : ٤٢٠/١١ .
(١٥٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٩/٧ ، البيضاوي ، تفسير البيضاوي : ٣٠٥/١ .
(١٥٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٩/٧ .
(١٥٥) سورة الشورى / الآية : ٣٠ .
(١٥٦) صحيح مسلم : ٤ / ٢٢١٥ الحديث رقم ٢٢٨٣ .

(١٥٧) سورة المائدة / الآية : ٥٤ .
(١٥٨) الرازي ، مختار الصحاح : ص ١١٥ .
(١٥٩) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٥ / ٢٢٦ .
(١٦٠) سورة القصص/ الآية:٥٥ ، سورة الفرقان / الآية:٦٣ : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً) .
(١٦١) سورة الزمر / الآية : ٦٤ .
(١٦٢) سورة البقرة / الآية : ٦٧ .
(١٦٣) سورة المائدة / الآية : ٥٠ .
(١٦٤) سورة الأعراف / من الآية : ١٣٨ .
(١٦٥) سورة النمل / الآية : ٥٥(أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) .
(١٦٦) الرازي ، التفسير الكبير ، ٢ / ١٦١ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٢٨٢ .
(١٦٧) سورة البقرة / الآية : ٣١ .
(١٦٨) سيد قطب ، في ظلال القرآن : ١ / ٥٧ .
(١٦٩) محمد الغزالي ، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل : ص ١٨ – ١٩ .
(١٧٠) اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد به ، ابن منصور ، لسان العرب : ١ / ٨٤١ .
(١٧١) الكبيسي ، البناء الحضاري في القرآن الكريم : ص ١٤٣ .
(١٧٢)عماد الدين خليل،حوارفي المعمارالكوني وقضايا إسلامية معاصرة،(قطر،دار الثقافة،١٩٨٧):ص ١٢٥.
(١٧٣) سورة البقرة / من الآية : ١٢٠ .
(١٧٤) سورة آل عمران / من الآية : ٧ .
(١٧٥) سورة العلق / الآيات : ١-٤ .
(١٧٦) عبد العزيز كامل ، الإسلام والمستقبل،(المعهد العالي للفكر الإسلامي،بلا،١٩٨٩): ص ٣٩ ، قاسم عمر الشريف ، الإسلام والثورة الحضارية ، دار الوفاء (مصر ،١٩٩٥م) : ص ٥٥ ، رجب سعيد شهوان ، دراسات في الثقافة الإسلامية،(بيروت،دار النهضة العربية،ط ٢،١٩٨١): ص ٤٩ .
(١٧٧) زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري،(ت٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،(مصر ، مط،البابي الحلبي،١٩٥٤):١ / ٩٤.رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة .
(١٧٨) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١ / ٢٨٨-٢٨٩ .
(١٧٩) سورة النمل / من الآية : ١٦ .
(١٨٠) سورة الأنبياء / من الآيات : ٧٨-٧٩ .
(١٨١) سورة يوسف / من الآية : ٦٨ .
(١٨٢) سورة يوسف / الآية : ٥٥ .
(١٨٣) سورة الكهف / الآية : ٦٦ .
(١٨٤) الرازي ، التفسير الكبير : ٢ / ٢٠٤ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٣ / ٢٤٦ .
(١٨٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ١٨٨ .
(١٨٦) سورة فاطر / الآية : ٣٢ .
(١٨٧) الرازي ، التفسير الكبير : ٢٦ / ٢٤ ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٤ / ٣٤٨ .
(١٨٨) سورة النمل / من الآية : ٤٠ .
(١٨٩) سورة البقرة / من الآية : ٢٦٩ .
(١٩٠) سورة النساء / من الآية : ٧٧ .
(١٩١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٣/٣٣٠-٣٣١ .
(١٩٢) زغلول راغب النجار ، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ،(المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،بلا، ١٩٩٠) : ص ١٦٠-١٦١ .
(١٩٣)سقوط الحضارات الكافرة في القرآن الكريم وإنهيارها قبل الإسلام ،سيكون بإذنه تعالى ،موضوع بحث قادم.
(١٩٤)سيد قطب،في ظلال القرآن،:٥/٢٦٠٩ ؛محمد توفيق السبع،قيم حضارية في القرآن الكريم،(القاهرة،مجمع البحوث الأسلامية،دار المنار ١٩٧٢م):ص١٦٢،١٥٦،٣٧؛عبد الجليل النذير الكاروري،التقووالثقافة،(الخرطوم،دار الزهراء،١٩٩٢م):ص١٣.

. المصادر .

القرآن الكريم
* أحمد بن حنبل، الأمام(ت٢٤١هـ):
١. مسند الإمام أحمد،(بيروت،دار صادر، المكتب الإسلامي،١٩٦٩).
*البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ):
٢.صحيح البخاري،تقديم محمد محمد شاكر،(بيروت ،دار الجيل،بلا).
*البراوي، راشد :
٣.التفسير القرآني للتاريخ،(القاهرة ،دار نافع للطباعة ،١٩٧٦).
*ا لبيضاوي ،ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر(ت٧٩١هـ !):
٤ .تفسير البيضاوي، تحق عبد القادر عرفات العشا حسونة(بيروت ، دار الفكر،١٤١٦ هـ/١٩٩٦م" قرص مدمج").
* البيضاوي ،ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر القاضي ، (ت٦٨٥هـ):
٥.تفسير البيضاوي ، دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٨٨).
*البوطي،محمد سعيد رمضان :
٦. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ،(دمشق،:دار الفكر، ١٩٨٣).
* جعفر، محمد كمال :
٧. الإنسان والأديان ، دار اللواء (الرياض ١٩٨٤).
* الجندي ،أنور :
٨. الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة،(القاهرة،دار الاعتصام،١٩٥٧).
*الحاكم ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري،(ت٤٠٥هـ) :
٩.المستدرك على الصحيحين،تحقيق محمد عبد القادر عطا،(بيروت،دار الكتب العلمية،١٩٩٠).
*الحمصي،محمد حسن:
١٠. قرآن كريم ، تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطي،(دمشق ،بلا).
*الرازي،محمد بن أبى بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ):
١١. مختار الصحاح،(بغداد ،مط،بابل،١٩٣٨).
*الرازي ،فخري الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين (ت٦٠٦هـ) :
١٢.التفسير الكبير(مفاتح الغيب)،بيروت ، دار الفكر،ط،٣، ١٩٨٥).
*الزبيدي،محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ):
١٣. تاج العروس من شرح جواهر القاموس،تحق،مصطفى حجازي،(بيروت،بلا).
*الزمخشري ،ابو القاسم جاد الله بن مجمد بن عمر(ت٥٣٨هـ) :
١٤.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحق محمد صادق قمحاوي،(القاهرة،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٩٧٢).
* سيد قطب:
١٥. في ظلال القرآن،(بيروت، القاهرة،دار الشروق،ط٦،٧ ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
*السيوطي ،عبد الرحمن بن أبي بكر ،(ت٩١١هـ) :
١٦.الدر المنثور،في التفسير بالمأثور،(مصر،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،١٣١٤هـ).
* الشعراوي ،محمد متولي:

١٧. تفسير الشعراوي(مصر،مطابع أخبار اليوم ، د.ت).
* شهوان، رجب سعيد :
١٨. دراسات في الثقافة الإسلامية،(بيروت،دار النهضة العربية،ط ،١٩٨١،٢).
*الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير ،(ت٣١٠هـ):
١٩.جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تح : محمود محمد شاكر ، (مصر،دار المعارف، بلا).
*عبد العزيز كامل :
٢٠. الإسلام والمستقبل،(المعهد العالي للفكر الإسلامي،بلا،١٩٨٩).
*عرجون،محمد الصادق :
٢١.سسنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الدار السعودية (الرياض، ط٣،١٩٨٤).
*عماد الدين خليل :
٢٢. التفسير الإسلامي للتاريخ،(الموصل، مطب،الشعب،١٩٨٥).
٢٣.حوار في المعمار الكوني وقضايا إسلامية معاصرة،(قطر،دار الثقافة،١٩٨٧).
*عويس ،عبد الكريم:
٢٤. تفسير التاريخ علم إسلامي،(القاهرة،دار الصحوة،١٩٧٧).
*الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد ، (ت ٥٠٥ هـ):
٢٥. كتاب الأربعين في أصول الدين ، مكتبة الجندي (القاهرة بلا).
*قاسم عمر الشريف :
٢٦.الإسلام والثورة الحضارية ، دار الوفاء، (مصر ،١٩٩٥م).
*القرطبي، ابو عبد الله الأنصاري :
٢٧.الجامع لأحكام القرآن(القاهرة، دار الكتب المصرية:١٩٣٥-١٩٥٠).
*ابن كثير،ابو الفداء إسماعيل الدمشقي،(ت٧٧٤هـ):
٢٨.تفسير القرآن العظيم،(تفسيرا بن كثير)،(عمان،د.ت) .
*الكبيسي،عبد السلام داود سويدان:
٢٩.البناء الحضاري في القرآن الكريم ، (رسالة ماجستير في أصول الدين ،كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣ م).
*الكيلاني ،ماجد عرسان :
٣٠.هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، (الدار السعودية ١٩٨٥م).
*محمد الغزالي :
٣١.تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل.
* مسلم، ابو الحسن بن الحجاج(ت٢٦١هـ):
٣٢.صحيح مسلم ، (القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، بلا).
* ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم بن علي ، (ت٧١١هـ):
٣٣. لسان العرب ، (بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٧،١٩٥٥).
*المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ،(ت٦٥٦هـ):
٣٤.الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،(مصر ، مط،البابي الحلبي،١٩٥٤).
*النجار، زغلول راغب :
٣٥. أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ،(العهد العالمي للفكر الإسلامي ،بلا،١٩٩٠).
*ابن هشام ، محمد بن عبد الملك (ت ٢١٨ هـ):

٣٦.السيرة النبوية ، مطبعة مصطفة البابي الحلبي (مصر ١٩٣٦).